إذا خلت من أهل المساعدة والمون من كرام المحسنين » .

فظن « دجين » أن الشيخ يرتجف مثله ألما . لالتصاق ثيابهما المبللة بأعضاء جسميهما . وحسبه يستجديه المعونة فقال : « دعنا من حديث الأحزان ، فليس منه فائدة ، وسينقضي وقت الشدة — إذا صبرنا لها — ثم يعقبها وقت الرخاء ، فتنسينا بهجته جميع ما كابدناه من مصائب وآلام ، ومتى صبر الإنسان لجهد نازلة أصابته ، ووطن نفسه على احتمالها وابتسم للكوارث والنكبات غير هياب ولا وجل ، لم تلبث أن تنجلي عنه ويساها كما نسي غيرها من المصائب والآلام . والعاقل هو من يرضى بأحكام القضاء ، فلا يستسلم للضعف ، واثقا أن لكل شدة مدة ثم ينقضي معها ، فإذا صمد لها غلبها وانتصر عليها . ثم صمت قليلا ، واستأنف حديثه قائلا : هلم يا أبا شمشع فانبعني إلى داري فإنك واجد فيها — على ضيقها — مكانا تأوي إليه ، وسنحضر لك بعض الحشائش والأعشاب توقدها لتجفف ثيابك المبتلة . فأطرق « لعلع » لحظة ، ثم قال لدجين « قبلت ضيافتك ، يا أبا النصن ، ولعل الله — سبحانه — يوفقني ذات يوم إلى أداء هذا الدين الجميل إليك » .

فقال « دجين » : « إن في صنع المعروف لذة يتضاءل أمامها كل جزاء مهما عظم ، وتصغر بالقياس إليها كل مكافأة مهما جلت . وحسبي سرورا أن يمكنني الله من القيام بواجب الضيافة ، دون نظر إلى جزاء أو شكر .

إن خير ما يكافأ به المحسن — ياسيدي — هو شعوره بأنه أدى واجبه ، وفرحه بقدرته على فعل الجميل ، وحسب الطيب مكافأة له أنه طيب . هلم فاعتمد ذراعي واتكيء عليها لتساعدك على السير » .

فقال « لعلع » : « ما أبعد نظرك ، وأحكم رأيك ، وأصدق نيتك ، وأسلم طويتك ! إني لأتنبأ لك بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة . وسيتولى الله — سبحانه — حمايتك ، ويخلد على مر الزمان اسمك وسمعتك ، ويسخر لك الإنس والجن لمعاونتك وخدمتك ، ويجعلهم طوع مشيئتك ، ورهن إشارتك » .

ثم مشى كلاهما في ضوء النجوم المتألقة في السماء ، يلفهما ظلام الليل ، ويؤنسهما نقيق الضفادع ، ويحوطهما الله برعايته ، ويكلؤهما بعنايته .

كامل كيلاني

الحكاية الأزلية

الأستاذ إيليا أبو ماضي

[أخرج الأستاذ نجدة فتحي صفوة مدرس اللغة العربية بكلية بغداد ، الحلقة الأولى من سلسلة الشعراء المعاصرين التي اعتزم صياغتها ، وهي كتاب لطيف الحجم في (إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر) ألم فيه إلمامة بليغة حسنة بأدب إخواننا العرب المهاجرين إلى أمريكا ، ونوه بمزاياه وخصائصه ، ثم دل على مكانة أبي ماضي منه ، وذكر طرفاً من حياة الشاعر وطرفاً من أدبه في أسلوب بليغ وعرض مشوق . وقد ختمه بهذه القصيدة الجديدة لأبي ماضي ، كما افتتحه بمقدمة نفيسة للأستاذ وقائيل بطي عميد الصحافة العراقية في وجوب العناية بتراجم المعاصرين وتسجيل أخبارهم وآثارهم . والكتاب والمقدمة من خير النماذج لأدب العراق الحديث] .

توطئة

كان زمان ، لم يزل كائنا ... وحالة ، ما برحت باقيه

مل بنو الإنسان أطوارهم ... وبرموا بالسقم والعافيه

فاستصرخوا خالقهم واشتهوا ... لو أنه كونهم ثانيه

وبلغت أصواتهم عرشه ... في ليلة مقمرة صافيه

فقال : إني فاعل ما اشتهوا ... لعل فيه حكمة خافيه

وشاهدوه هابطاً من علٍ ... فاحتشدوا في السهل والرابيه

من القرى الكئيبة العارية ... والمدن الضاحكة الزاهيه

تألبوا من كل صوب كما ... تجتمع الأمطار في الساقيه

يسابق الصعلوك رب الغنى ... والأبلهُ الباقعةَ الداهيه

ويدفع الشيخ الشوقى عوده ... وصار مثل الرمة البالية

فتى مضى الفجر ولما تزل ... روعته في وجهه باقيه

وترحم الحسناء ممكورة ... خلابة كالروضة الحاليه

دميمة تشبه في قبحها ... مدينة مهجورة عافيه

فقال رب العرش : ماخطبكم ، ... ما بالكم صرخاتكم عاليه ؟

هل أصبحت أرضكمُ عاقرا ... أم غارت الأنجم في هاويه ؟

أم أقلع الماء فلا جدول ... وماتت الطير فلا شاديه ؟

أم فقدت أعينكم نورها ... أم غشيت أرواحكم غاشيه ؟

أين الهوى ، إن لم يكن قد قضى ... فكل جرح واجد آسيه

الفتى

قال الفتى : يا رب إن الصبا ... مصدر أحزانى وآلامى
ألبستنيه موهناً بعد ما ... أبلاه أخوالى وأعمامى
وصار فى مذهبهم عصره ... فترة زلات وآثام
فاختلفت حالى وحالاتهم ... كأننى فى غير أترابى
وصرت كالجدول فى فدفد ... أو شاعر ما بين أصنام
والأخضر الورق فى يابس ... أو مثل صاح بين نوام
دنياهم دنياى ... لكنها ... أعلامهم ليست كأعلامى
عندهم الروضة أشجارها ... والروض عندى الزهر النامى
والطير لحم ودم عندهم ... وليس عندى غير أنغام
سكرى بها أو بالندى والشذى ... وسكرهم بالخمر فى الجام
يسخر قلبى بلياليهم ... ويسخر الدهر بأيامى
كأننى جئت لتبكيتهم ... كأنما جاءوا لإيلامى
عيبى على نفسى هذا الصبا ... الجانح المستوفز الطامى
يزرع فى حولى زهرات المنى ... وشوكها فى قلبى الدامى
فان ... له فى كل فان هوى ... فان ... ولا ينجو من الذام
خلفه ... وخذ قلبى وأحلامه ... فإننى أشقى بأحلامى
وما يمر الدهر فى لحظة ... كالطيف ... أو كالبرق قدامى
وازرع نجوم الشيب فى لمتى ... فينجلى حندس أوهامى
وأبعثر الحكمة فى ضوئها ... إنى إليها جائع ظامى

الشيخ

وجاء شيخ حائر واجف ... مشتمل اللمة بالى الإهاب
كأنما زلزلة تحته ... لما به من رعشة واضطراب
فصاح : يا رباه خذ حكمتى ... وارددعلى عبدك عصر الشباب
إن أمانى الروح أزهارها ... وإن روحى اليوم قفر يباب
لا جدول لا بلبل منشد ... بلى بها الوحشة والاكتئاب
تلك الأمانى ... على كذبها ... لم تكن اللذة فيها كذاب
زالت وما زلت ... وإن الشقا ... أن تطمس الآى ويبقى الكتاب
وتسلب السرحة أوراقها ... ولم تزل أعراقها فى التراب
قيل لها فى البحر كل المنى ... فلم تجد فى البحر إلا الضباب

كنت غنياً فى زمان الصبا
وكنت صفر الكف صفر الوطاب

صحوت من جهلى فأبصرتنى ... كأننى سفينة فى العباب
نأت عن الشط ولم تقترب ... شبراً من السر الذى فى الحجاب
ولو ترجى أوبة لاشتفت ... لكنما عز عليها الإياب
لو تقف الأيام عن سيرها ... فإنها تركض مثل السحاب
وضع أمامى لا ورائى المنى ... وطوّل الدرب وزد فى الصعاب
ما لذتى بالماء أروى به ... بل لذتى فى العدو خلف السراب

الحسناء

وقالت الحسناء : يا خالقى ... وهبتنى الحسن فأشقيتنى
وجهى سنى مشرق إنما ... مرعى عيون الخلق وجهى السنى
حظى منه حظ ورد الربى ... من عطره الفواح والحسن
ومثل حظ المرو من فيئه ... والطير من تغريدها المتقن
ومثل حظ النجم من نوره ... فى الحندس المعتكر الأدجن
للقائل الفيء ... وللسامع ... التغريد ... والزهرة للمجتنى
والنور للعدلج والمجتلى ... والدر للغائص والمجتنى
كم ريبة دبت إلى مضجعى ... مع الجمال الرائع الممكن
إن عشقت نفسى فويل لها ... والويل لى إن زجل حتى
الدم والشوك وجمر الغضا ... أهون من كاشحة الألسن
كم تقتفينى نظرات الخنا ... ويلى من خائنة الأعين
لم يبق فى روحى من موضع ... يا رب لم يخدش ولم يطعن
إن الغنى فى الوجه لى آفة ... فليت أنى دميمة ليتنى

الجارية

وسكتت ... فصاحت الجاريه ... باكية من بؤسها شاكيه :
ذنبى إلى هذا الورى خلقتى ... فهل أنا المجرمة الجانيه ؟
إن أخطأ الخزاف فى جبله الـ ... طين ، فأى الذنب للآنيه ؟
أليس من يسخر بى يزدرى ... بالقوة الموجدة الباريه ؟
لو كنت حسناء بلغت العلى ... فللجمال الرتبة العاليه
وبت من أسجد قدامه ... صاغرة يسجد قدميه
فإننى فى ملأ ظالم ... أحكامه جائرة قاسيه
ليس لذات القبح من غافر ... وفيه من يغفر للزانيه ...

نفسي جزء منك يا خالق ... وإنها عاقلة راقيه
أليس ظلماً وهي بنت العلى ... إن تك بالقبح إذن كاسيه ؟
فليكن الحسن رداء لها ... ترفل به أو فلتكن عاريه

الصعلوك

وأقبل الصعلوك بسترحما ... في مقلتيه شبح اليأس
يصرخ يا رباه حتى متى ... تحكم الوسر في نفسي
وتضع التاج على رأسه ... وتضع الشوك على رأسي
ويشرب اللذات من كأسه ... وأجرع الغصات من كأسي
وتنجلي النجوم في ليله ... ضاحكة كالعيد في عرس
ويتوارى في نهاري السنا ... أو يتبدى حانق الشمس
يا رب لا تنقله عن أنسه ... ولكن انقلني إلى الأنس
فإن تشأ ألا يذوق الهنا ... قلبي فجردني من الحس
لو لم يكن غيري في غبطة ... ما شعرت روحي بالبؤس

الغنى

وقال ذو الثروة : ما أشتهي ... لا أشتهي أني ذو ثروة
أنفقت أيامي على جمعها ... وخلتني أدركت أمنيتي
فاستعبدتني في زمان الصبا ... وأوقرت بالهم شيخوختي
قد ملكتني قبلما حزتها ... وملكتني وهي في حوزتي
كنحلة أمسكها شهدها ... من الجناحين فلم تفلت
حسبتها تكسبني قوة ... فافترست قوتها قوتي
جنت على نفسي وأحلامها ... جناية الشوك على الوردة
ينمو فتنمو فهي عليقة ... يحذرها الطائف بالروضة
من قائل عني لمن خالني ... امرح من دنياي في جنة
لا تنظر الأضواء في حجرتي ... وانظر إلى الظلماء في مهجتي
ولا يغرنك قصري فما ... قصري سوى سجن لحريتي
إني في الصرح الرفيع الذرى ... كطائر — في قفص — ميت
كم في عباب البحر من سابح ... قد مات ظمآنا إلى قطرة
موت الطوى شر ولكنما ... أفظع منه الموت بالتخمة
إن سهر العاشق من لوعة ... أو سهر المحزون من كربة
فالشوق كالحزن له آخر ... وينقضي في آخر المدة
أما أنا فقلقي دائم ... ما دمت في مالي وفي فضتي
والخوف من كارثة لم تقع ... أمض من كارثة حلت
كم من فقير مر بي ضاحكا ... كأنما يسخر من غصتي
رأيته بالأمس من كوتي ... فخلتني أنظر من هوة
وكنت كالحوت رأى موجة ... ضاحكة ترقص كالطفلة
أو حية تدب في منجم ... ترنو إلى فراشة حرة
قد اختفت ذاتي في بردتي ... فما يرى الخلق سوى بردتي
فهم إذا ما سلموا سلموا ... على خيوط البرد والجبة
رباه أطلق من عقال الغنى ... روحي فإني منه في محنتي
وانزع مع الدينار من قبضتي ... صلابة الدينار من سحنتي
وحول المال إلى راحة ... وحول القصر إلى خيمة

الأبد

وصرخ الأبد مستفسراً ... ما القصد من خلق كذا والمراد؟
ألم يكن يكمل هذا الورى ... إلا إذا أوجدتني في فساد ؟
لي صورة الناس وحاجاتهم ... من مطعم أو مشرب أو رقاد
لكن لبي غير ألبابهم ... فإنه مكتنف بالسواد
يعجزني إدراك ما أدركوا ... كأن عقلي لجة أو رماد
إن كنت إنساناً فلم يا ترى ... لست بإدراكي كباقي العباد ؟
أو لم أكن منهم فمم أكن ... جرادة أو أرنباً أو جواد ،
فالبد لا يعدم من نده ... ذريعة للسلم أو للجهاد
لا تسخر النملة من نملة ... وليس يزري بالقراد القراد
أم أنت كالنقل على رغمه ... ينمو مع الحنطة فيه التتاد

البائعة

وجاء بعد الأبد المستريب ... الألمعي العبقري اللبيب
فقال : إني تائه حائر ... أنا غريب في مكان غريب
أبحث عن نفسي فلا أهتدي ... وليس يهديني إليها أريب
أنا عليم حيث لا عالم ... أنا لبيب عند غير اللبيب
لو أنني كنت بلا فطنة ... سرت ولم تكثر أمامي الدروب
وكان عقلي كعقول الورى ... وكان قلبي مثل باقي القلوب
وصار عندي كالنجوم الورى ... فلا عدو فيهم أو حبيب
ولم أجد في ضحكهم والبكا
شيئاً سوى الضحك وغير النحيب